الإساءة للنبي محمد (ﷺ) بين الرواية التاريخية والنص الاستشراقي

م.م.عباس قاسم عطية
جامعة البصرة– كلية التربية للبنات

قد يتصور البعض ان الخوض في مجال السيرة النبوية من الدراسات اليسيرة والبسيطة، بل على العكس من ذلك ان تناولها يعد من اصعب الدراسات لاعتبارات عدة منها: انك تخوض في سيرة شخصية ليست ككل الشخصيات فالخوض فيها بدون تأني وادراك قد يدخلك في متهات واخطاء لا يمكن القبول بها، فضلاً عن ان الرواية التاريخية في السيرة المتناقضة احياناً تضعك في مفترق طرق فيما اذا كنت لا تدرك ماهية هذه الرواية، وأسباب نقلها، وطرق دسها في كتب التاريخ، والشخوص الذين نقلوها، من هذا وغيره يجب تحري الدقة والتحليل في نقل روايات السيرة النبوية.

كما ان هناك أكاذيب وافتراءات وروايات موضوعة في الرواية التاريخية عن السيرة النبوية التي تُعدّ من اهم الأسباب التي مهدت الإساءة لرسول الله محمد (ﷺ)، فهناك الكثير من المصادر حملت في بطونها ما لا يتوافق مع شخصه الكريم (ﷺ) ولا مع سلوكه الإنساني العظيم، وهذه الروايات اصبحت مادة دسمة للعديد من المستشرقين الذين استغلوها كي يسيئوا له (ﷺ)، لذلك اعتمد هؤلاء على هذه الروايات وامثالها لنشر إساءاتهم وتجنيهم عليه.

وعلى ضوء ذلك ما تقدم سيتم تقسيم موضوع بحثنا الى محورين:

المحور الأول: الرواية التاريخية الإسلامية التي مهدت للإساءة

المحور الثاني: النص الاستشراقي الذي اساء لرسول الله (ﷺ)

المحور الأول: الرواية التاريخية الإسلامية التي مهدت للإساءة

ان بعض الروايات عن سيرته العطرة شابها ما شابها من الدس والتلفيق، سواء كان عن قصد من مبغضيه، او عن جهل، لذلك يجب التحري والتأكد مما ينقل عن رسول الله (ﷺ)، ففي استبيان الخبر والتأكد منه يقول امير المؤمنين علي عليه السلام: "إعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل دراية، لا عقل رواية، فإن رواة العلم كثير، ورعاته قليل"[1]، وروي عن الامام الصادق عليه السلام عن رسول الله (ﷺ) قال: "إن على كل حقٍّ حقيقة، وعلى كل صوابٌ نور، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه"[2]

ويجب ان لا نغفل ما للإسرائيليات من دس وتلفيق على سيرته العطرة، فقد كان اليهود يتحينون الفرص لدس سمومهم في الإسلام، فضلاً عن ذلك ما قام به يوحنا الدمشقي المسيحي الذي كان قريباً من بني امية، وعاش في بلاطهم، وكان يبغض الإسلام ورسوله (ﷺ)، حيث قام بتلقين أنصاره قصصاً، وأخباراً ملفقة، وكاذبه، ومزورة عن رسول الله (ﷺ)، ونشروها على نطاق واسع حتى دخلت في كتب التفسير، والسير.

سنتناول بعض هذه الاساءات لان المجال لا يتسع لها كلها، فضلاً عن ذلك هناك العديد من الكتابات التي تناولتها وردت عليها.

مما ذكر في بداية نزول الوحي على رسول الله (ﷺ) ان الوحي فتر فترة عن النزول حتى حزن (ﷺ) حزناً كبيراً لذلك، ففكر مراراً ان يلقي بنفسه من شواهق الجبال وكلما أراد ان يلقى بنفسه تبدى له جبريل فقال يا محمد انك رسول الله حقاً، فيسكن لذلك جأشه وتستقر نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك.

مثل هذه الرواية التي تبين ضعف رسول الله وانهياره النفسي، فكيف به ان يحمل ثقل الرسالة الإسلامية اذا كان هو بهذا الحال، وسنرى المستشرقين كيف فسروا هذه الرواية.

---

(1) الشريف الرضي: خصائص الائمة، (تحقيق: محمد هادي الأميني، مجمع البحوث الإسلامية- الآستانة الرضوية المقدسة، مشهد-إيران، ربيع الثاني ١٤٠٦هـ)، ص٩٥؛ الواسطي: علي بن محمد الليثي (ت القرن٦ الهجري)، عيون الحكم والمواعظ، (تحقيق: الشيخ حسين الحسيني البيرجندي، ط١، دار الحديث، قم، ١٣٧٦هـ)، ص٩٢.

(2) الكليني: الكافي، ٦٩/١؛ الحر العاملي: وسائل الشيعة، ١١٠/٢٧.

فضلا عن ذلك ما ذهب اليه بعض المفسرون في سورة (عبس وتولى) التي روجت لها بعض كتب التفسير والتاريخ الإسلامية التي ذكرت أنها كانت موجهة للنبي محمد (ﷺ) في حادثة ابن ام مكتوم الاعمى[٣]. نجد انهم:

١. ذهب بعض المفسرين في اضعاف الروايات التي نقلت حادثة ابن ام مكتوم الاعمى المذكورة منهم القرطبي الذي اعتبرها غير مطمئنه فيقول: هذا حديث غرِيب"[٤]. وأشار لها ابن كثير ايضاً بالقول: "واضنه مقحماً والله اعلم"[٥].

٢. كما ذهب بعض علماء المسلمين الى ان هذه السورة نزلت بحق رجل من بني امية كان حاضراً عند رسول الله (ﷺ)، فلما اقبل ابن ام مكتوم نفر منه وعبس في وجهه[٦].

ومن الاساءات التي نُقلت وتداولها بشكل كبير المستشرقين تذكر: ان رسول الله (ﷺ) كان قد عشق السيدة زينب بنت جحش التي كانت زوجة لزيد بن حارثة الذي طلقها ثم تزوجها رسول الله، وهذه القصص راجت وانتشرت للأسف الشديد، وقبلها مفسر كبير كابن سعد وابن جرير الطبري، وتناقلها عنه غيره.

---

(٣) ابن ام كتوم: وهو عمرو بن قيس بن زائدة بن، امه أم مكتوم بنت عبد الله بن عنكة بن عامر بن مخزوم، وهو ابن خال خديجة بنت خويلد، شهد ابن أم مكتوم القادسية، وكان معه اللواء، وقتل شهيداً فيها. ينظر الزبيري: أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب (ت٢٣٦هـ- ٨٥١م)، نسب قريش، (تعليق وتصحيح: ا. ليفي بوفنسال، ط٤، دار المعارف، القاهرة، د. ت)، ص٤٣٧.

(٤) القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت٦٧١هـ- ١٢٧٣م)، الجامع لأحكام القرآن، (تحقيق: مصطفى السقا، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، ١٩/٢١١- ٢١٢.

(٥) ابن كثير: تفسير القران العظيم، (تحقيق وتقديم: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م)، ٤/٥٠٢.

(٦) الطوسي: ابي جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ – ١٠٦٨م)، التبيان في تفسير القران، (تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، ط١، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٩هـ)، ١٠/٢٦٩.

فضلاً عن ذلك ما ينقل عنه انه كان يسمع الغناء، وتضرب الدفوف في بيته، وانه كان يقرأ القران في حضن احدى زوجاته وهي حائض.

ويبدو ان هذه الروايات المقحمة وغير المقبولة قد نسوا او تجاهلوا قول الله سبحانه وتعالى في رسوله: **{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}** وقوله: **{أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرى لِلْعالَمِينَ}**، وقوله تعالى: **{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}**. وقوله: **{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ}**،وقوله: **{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ}**.

كان رسول الله سيد العالمين، وذوو المكارم والأخلاق الإلهية، يقول فيه سيد البلغاء والمتكلمين امير المؤمنين علي عليه السلام: "أرسله بالضياء، وقدمه في الاصطفاء، فرتق به المفاتق، وساور به المغالب، وذلل به الصعوبة، وسهل به الحزونة، حتى سرح الضلال عن يمين وشمال". فالعجب كل العجب من يؤمن بهذه الروايات المسيئة ويتبناها ويدافع عنها ايضاً معتبرها سنة.

المحور الثاني: الإساءة في النص الاستشراقي

ربما يسأل سائل عن ماهية الاستشراق والمستشرقين، الاستشراق هو كل من يطلب علوم الشرق، ولغاتهم[٧]، او التخصص في معرفتها[٨]، او هو العلم الذي يدرس لغات شعوب الشرق، وتراثهم، وحضاراتهم، ومجتمعاتهم، وماضيهم، وحاضرهم[٩].

---

(٧) رضا: الشيخ احمد، معجم متن اللغة، (دار مكتبة الحياة، بيروت– لبنان، ١٣٧٧هـ–١٩٥٨م)، مج٣/٣١٠.

ومفهوم المستشرق قد يختلف احياناً بين الرؤية الغربية والشرقية، فالرؤية الغربية تعُبر عن المستشرق بآنه ذو اهتمامات علمية ترتبط بتاريخ الشرق وحضارته وآدابه، وتتجلى هذه الاهتمامات في عمل تحقيق الكتب ونشرها والتي كتبت في السيرة، والتاريخ، وعلوم القرآن، والفلسفة، والقضايا الإسلامية الاخرى، اما الرؤية الشرقية بعض التعريفات فيها تنزع عنه ثوب العلم، والمعرفة الخالصة، وتلبسه ثوب الانخراط في قضايا ذات أبعاد دينية سياسية استعمارية[١٠].

وعن بدايات الاستشراق من المعروف ان اوروبا في حقبة العصور الوسطى كانت تسيطر عليها الكنيسة بشكل كبير، – والكنيسة يقصد بها هنا رجالات الدين المسيح وافكارهم التي سيطروا من خلالها على مجتمع اوروبا– فبعد تخلصهم من الوثنية وهيمنتهم على أجزاء اوروبا، رأت الكنيسة ورجالاتها في ظهور الإسلام كدين وامتداده الخطر الأكبر الذي يهدد مكانتها ووجودها، فضلاً عن ذلك دخول اعداد كبيرة من العناصر المسيحية في دين الإسلام، وتوسع رقعة الدولة الإسلامية وانتشارها بشكل كبير، بذلك أصبح الإسلام قوة تطوق حدود الدول المسيحية، وتسيطر على عدد من أراضيها من بينها مكان ولادة السيد المسيح عليه السلام نفسه[١١].

لذلك ذهب مؤرخو تلك الحقبة وبدعم من الكنيسة الى محاولة تصوير الاسلام ورسوله (ﷺ) بصور مسيئة وغير لائقة دليل بغضهم وحقدهم ومحاولة طعن الإسلام من الداخل، فاعتبروا الإسلام دين هرطقة وبدعة،

---

(٨) النبهان: الدكتور محمد فاروق، الاستشراق (تعريفه، مدارسه، اثاره)، (منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط– المملكة المغربية، ١٤٣٣هـ–٢٠١٢م)، ص١١.

(٩) فوزي: فاروق عمر، الاستشراق والتاريخ الإسلامي، (ط١، الاهلية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية– عمان، ١٩٩٨م)، ٢٩–٣٠.

(١٠) بن كتفي: زهير، الرؤية الاستشراقية للفلسفة الإسلامية عند هنري كوربان، (ط١، دار صفحات للنشر والتوزيع، سورية– دمشق، ٢٠١٣م)، ص٢٧.

(١١) غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص٦٣.

وأن مؤسسه –أي النبي محمد– شخص مرتد عن الديانة المسيحية، وحاولوا ربط الإسلام بالديانة المسيحية بافتراءاتهم ان النبي (ﷺ) قد استمد تعاليم دينه من الديانة المسيحية، ويعزون ذلك الى لقاءته مع رهبان مسيح اثناء سفره الى بلاد الشام، منهم بحيرا الراهب[١٢]، وتلقي تعاليم الديانة المسيحية على يد ورقة بن نوفل[١٣] مستندين بذلك على بعض الروايات الإسلامية –ان صحت– التي ذكرت ان رسول الله (ﷺ) اثناء رحلاته التجارية الى بلاد الشام، التقى برهبان من النصارى سواء عند سفره مع عمه أبو طالب او بمفرده بعد ذلك.

زيادة على ذلك من اساءتهم اطلقوا على النبي محمد (ﷺ) تسميات عدة حيث كانوا يسمونه (Mathomus ماثموس، او Mamutius ميموتيوس، او Machometis مخموتوس)، وهذه المسميات لم تأتِ من فراغ، او لاختلاف اللغة بين الشرق والغرب، بل لها معان ومقاصد أخرى، فأسم ميميتوس يعني اله الظلام"[١٤]، وعَدّوا رسول الله (ﷺ) ما هو الا أداة ووسيلة لانتقام بحيرا من الكنيسة، واتهموه أيضا انه كان مصاباً بالصرع[١٥] مستندين في تأويلهم هذا الى الحالة التي يتعرض لها رسول الله (ﷺ) من شدة الوحي في اول نزوله عليه، ومن المعلوم هناك اختلافاً بين نزول الوحي بواسطة جبرائيل عليه السلام، وبين الوحي المباشر من الله سبحانه وتعالى، فينقل عن زرارة بن اعين[١٦] عن الامام الصادق عليه السلام قال: "كان جبرئيل إذا أتى النبي (ﷺ) قعد بين يديه قعدة العبد، وكان لا يدخل حتى يستأذنه"[١٧]، وعن زرارة نفسه أيضاً سأل الامام الصادق

---

(١٢) بحيرا: اسمه جرجيس، راهب نصراني كانت له صومعة في بصرى، من اعمال بلاد الشام على طريق القوافل، مر به رسول الله وهو في سن الثانية عشر من عمره الشريف مع عمه أبو طالب، فرأى بحيرا بعض ملامح النبوة فيه، وأوصى عمه بحمايته والحفاظ عليه لأنه سيكون له شأن عظيم. ينظر العجلوني: إسماعيل بن محمد الجراحي (ت١١٦٢هـ – ١٧٤٩م)، كشف الخفاء ومزيل الالتباس، (ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م، ١٤١/١ ؛ مجموعة من العلماء والباحثين، الموسوعة العربية الميسرة، ص٦٣٩.

(١٣) غابريلي: محمد والفتوحات الاسلامية، ص٦٤.

(١٤) ناجي: عبد الجبار، التشيع والاستشراق، (ط١، المركز الاكاديمي للأبحاث، ٢٠١١، بيروت)، ص١٣٧.

(١٥) غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص٦٥.

(١٦) زرارة بن أعين: اسمه عبد ربه، يكنى أبا الحسن، وزرارة لقب له، له روايات كثيرة عن الامام زين العابدين والباقر والصادق (عليهم السلام)، وله مصنفات منها كتاب الاستطاعة والجبر. ينظر الطوسي: الفهرست، (تحقيق: جواد القيومي، ط١، مؤسسة نشر الفقاهة، ١٤١٧هـ)، ص١٣٤.

(١٧) المجلسي: بحار الانوار، ٢٥٦/١٨.

عليه السلام عن الغشية التي كانت تصيب رسول الله (ﷺ) عند نزول الوحي فقال: "ذلك إذا لم يكن بينه وبين الله أحد، ذاك إذا تجلى الله له، ثم قال عليه السلام تلك النبوة يا زرارة وأقبل يتخشع"[١٨].

حتى ان الادباء الاوربيون لم تخلوا مؤلفاتهم من الإساءة بسبب تأثير الكنيسة على أفكارهم فهذا دانتي الإيطالي في مسرحيته المشهورة (الكوميديا الإلهية) صور رسول الله (ﷺ) فيها بأنه من باذري وناثري –يعني ناشرين– الفضيحة والعمل المخزي والشقاق"[١٩](حاشاه الله من ذلك)، لذلك وضع دانتي رسول الله (ﷺ) – حسب تصوره هو– في الدرك الثامن والعشرين من جهنم، وانه ينهش بيديه في جسمه عقاباً له على ما اقترف من آثام.

وما راج من الخرافات عن الرسول (ﷺ)، ما اثاره القسيس أيولوج الذي كان أعلم قسس عصره باللغة العربية وتمكنه أن يقرأ العربية بيسر، لم يذهب إلى الكتب العربية للبحث عن أخبار حياة رسول الله (ﷺ) بل راح يطلبها في مخطوط لاتيني وجده بالصدفة، مما ذكر في هذا المخطوط: "أن محمد – وقد اقتربت منيته – أنبأ أصحابه أن الملائكة سترفعه ثالث أيام موته، فلازم أصحابه جسده في انتظار المعجزة، فلما انصرم اليوم الثالث دون أن يروا ملكاً تركوها ظناً منهم أن ملازمتهم إياها منعت الملائكة من القدوم، وإذ ذاك جاءت الكلاب فالتهمت بعضها، ودفن المسلمون ما تبقى منها، ومن ثم برروا قتل عدد كبير من الكلاب سنويا انتقاما منها" ، ثم يصرح أيولوج على هذه الرواية المزيفة: "تلك هي معجزات المسلمين".

هذا ما صورته العصور الوسطى عن سيرته الكريمة متجاهلين بذلك الحيادية، بل كان يدفعهم حقدهم البغيض واستكبارهم واستعلاءهم.

عندما بدأ عهد التنوير الأوربي وبدأ الاهتمام بالعلوم والمعارف وزعموا انهم تبنوا منهجاً علمياً صحيحاً بعيداً عن تعصب العصور الوسطى واستكبارها، برز تقويم جديد لسيرة رسول الله محمد (ﷺ) وعُد الدين

---

(١٨) المجلسي: بحار الانوار، ٢٥٦/١٨ ؛ العاملي: علي دعموش، السيرة النبوية برواية أئمة اهل البيت، (ط١، دار الهادي، بيروت– لبنان، ١٤٢٩هـ–٢٠٠٨م)، ص٢٢٠.

(١٩) غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص٦٦.

الإسلامي ديناً موازياً للديانة المسيحية، واتفق المترجمون وكتاب التراجم في العصور الاوربية الحديثة على عرض السيرة النبوية بشكل وأسلوب اخر، ظهر لنا عدد من المستشرقين الذين الفوا كتبا خاصة بسيرة النبي محمد (ﷺ) منها:

كتاب (حياة محمد) للمستشرق اشبرنجر[٢٠]، الذي وصف بأنه كتاباً علمياً فيه فكرة فلسفية عميقة، وانموذجاً للمادة العلمية المغربلة، ولكن حسب ما يُنقل عن اشبرنجر في كتابه هذا يقول: "ان الإسلام مجموعة الحاد من عمل الشيطان" ونبي الاسلام كان رئيس عصابة من قطاع الطرق، وكثير من الاوصاف السيئة التي يصعب ذكرها بحقه، فلا نعرف كيف اعتبر هذا كتاباً علمياً وانموذجاً للمادة العلمية الصحيحة.

ومن الكتب الأخرى كتاب المستشرق جريم[٢١] عن رسول الله (ﷺ) الذي وصف من السير النظامية، والمرتبة، ودراسته يغلب عليها الجانب الاجتماعي بتحليله ان المشاكل الاجتماعية، والتوزيع غير العادل للثروة دفعت برسول الله (ﷺ) الى قلب الأوضاع في بيئته.

ونرفض هذه الفكرة التي بنى جريم عليها كتابه؛ لأنه يصور رسول الله (ﷺ) كقائد ثوري قام بانقلاب في مجتمعه نظراً للظروف الاقتصادية، والاجتماعية لهذ المجتمع، وليس كنبي مرسل من الله سبحانه وتعالى صاحب رسالة سماوية، وكتاب منزل، فاذا سلمنا لنظرية جريم او دراسته، بهذا نجرد رسول الله (ﷺ) من النبوة.

فالمنهج العلمي الذي يتحدثون عنه تجاوز كلمات السب والشتم فقط، فلا نجد يقين لدى المستشرقين في بعض كتب السيرة والتاريخ الصحيحة، ولا يزال اعتمادهم الشواهد التاريخية الشاذة والضعيفة، والتحليلات

---

(٢٠) اشبرنجر: مستشرق نمساوي الأصل إنكليزي الجنسية ولد عام ١٨١٣م، درس الطب واللغات الشرقية، عين عميدا للكلية الإسلامية في دلهي، من مؤلفاته: حياة محمد، ترجمة لمروج الذهب، تاريخ محمود الغزنوي وغيرها. ينظر بدوي: موسوعة المستشرقين: ص٢٨.

(٢١) هيوبرت جريم (١٨٦٤-١٩٤٢م): أستاذ متخصص باللغات الشرقية في المانيا، من اهم اعماله محمد، وترجمة القرأن، وعرب الشام قبل الإسلام، والإسلام واليهودية وغيرها. ينظر العقيقي: المستشرقون، ص٧٦٠.

والاستنتاجات غير الدقيقة وغير الموضوعية، فضلاً عن ذلك التعصب والتحامل في النقل لدى بعضهم الذي لم يتجردوا منه.

وعندما نذكر بعض هذه الاساءات التي تناولها عدد من المستشرقين فهم لم يأتوا بها من وهمهم، او من خيالهم، بل لم يجهدوا أنفسهم ليحرفوا تلك النصوص ويزيدوا عليها، بل كانت جاهزة ومقولبة بما يخدم غرضهم، مثلاً رواية زواجه من السيدة زينب بنت جحش التي ذكرناها فهي موجودة عند ابن سعد في طبقاته والطبري في تفسيره وتاريخه، وذُكرت في الكشاف للزمخشري[٢٢]، والدر المنثور للسيوطي[٢٣]، وغيرها من كتب التفسير والتاريخ، لذلك تبنوها المستشرقين بشكل واسع وكبير وفسروا هذا الزواج بشكل لا يقبله العقل الإنساني لشخص عادي فكيف نقبله لرسول الله، ومما أشار له بعض المستشرقين منهم:

١. غوستاف لوبون[٢٤] من مستشرقي القرن التاسع عشر الميلادي في كتابه (حضارة العرب)، حيث يذكر "وضعف محمد الوحيد هو حبه الطارئ للنساء، وهو الذي اقتصر على زوجته الأولى حتى بلغ الخمسين من عمره، ولم يخف محمد حبه للنساء...واطلق محمد العنان لهذا الحب، حتى انه رأى اتفاقا زوجة ابنه بالتبني – يقصد زيد بن حارثة– وهي عارية، فوقع في قلبه منها شيء، فسرحها بعلها ليتزوجها محمد، فأغتم المسلمون، فأوحي الى محمد بواسطة جبريل الذي كان يتصل به يوميا، آيات تسوغ ذلك، وانقلب الانتقاد الى سكوت"[٢٥].

---

(٢٢) الزمخشري: ابي القاسم جار الله بن عمر (ت٥٣٨هـ – ١١٤٣م)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، (ط١، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٨٥هـ–١٩٦٦م)، ٢٦٢/٣.

(٢٣) السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ – ١٥٠٥م)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، (دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، د.ت)، ٢٠٢/٥.

(٢٤) لوبون: مستشرق فرنسي كان طبيبا ومؤرخا، اهتم بالحضارة الشرقية، من مؤلفاته الحضارة المصرية، وحضارة العرب، وحضارة العرب في الاندلس. ينظر العقيقي: المستشرقون، ٢٢٦/١.

(٢٥) لوبون: غوستاف، حضارة العرب، (ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٣م)، ص١١٦.

٢. ايضاً ما ذكره المستشرق اميل درمنغم[٢٦] في كتابه (حياة محمد) عن حادثة الزواج هذه فيقول: "شعر محمد بالعقد الأخير من عمره بميل كبير للنساء... ودخل محمد ذات يوم بيت زيد بن حارثة بعد الفراغ من غزوة بني النضير وكان زيد في ذلك اليوم غائباً عن بيته، فوجد محمد نفسه تجاه زوجة زيد زينب بنت جحش التي كانت أجمل فتيات قومها، وكانت زينب هذه انئذ سافرة، وشبه عارية، وعامله على زينتها وإدارة بيتها، فأثر هذا الجمال السافر الغض الفياض في نفس النبي فقال: سبحان الله مقلب القلوب، ولم ينطق بغير هذه الكلمة، وانصرف حالاً، وقصت زينب ما رأت على زوجها، فأرتبك كثيرا، وكان زيد المخلص لمحمد المنعم عليه يعلم مزاجه المتقد، وبدا الوضع محير الى الغاية"[٢٧].

٣.ونضيف الى ذلك ما نُقل عن المستشرق فيليب حتي[٢٨] في كتابه (تاريخ العرب) حيث يقول "ولقد تزوج النبي من نحو اثنتي عشر زوجة بعضهن بدافع الحب"[٢٩].

هكذا تناولوا هذه الرواية بل وزادوا عليها لكي يصوروا شخص الرسول الكريم بتصوير فاضح خارج عن الاداب الإسلامية، وهؤلاء المستشرقون لو أجهدوا أنفسهم واطلعوا على كتب التفاسير الاسلامية الأخرى وغيرها من كتب التاريخ التي ذكرت هذه الحادثة، لما اعتراهم هذا الشك والاضطراب والتناقض، وما بنوا أفكارهم عليه كأنه يقين ثابت لديهم، ويجب ان لا نغفل ان هذه الآراء لم تأت من عدم دراية، او جهل بالتاريخ الإسلامي، بل عن قصد من اجل تشويه صورة نبي الإسلام (ﷺ)، والتشكيك به، والطعن برسالته السماوية.

---

(٢٦) اميل درمنغم: مستشرق فرنسي سافر الى الجزائر واصبح مدير مكتبة الجزائر، له العديد من المؤلفات ابرزها حياة محمد طبع في باريس عام ١٩٢٩م. ينظر العقيقي: المستشرقون، ٢٩٨/١.

(٢٧) درمنغم: ايميل، الشخصية المحمدية السيرة والمسيرة، (ترجمة: عادل زعيتر، ط٣، الشعاع للنشر والتوزيع، الجزائر–المعادي، ٢٠٠٥م)، ص٢٧٦؛ الالمعي: زاهر عواض، مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي (ص) بزينب بنت جحش، (ط٤، ١٤٠٣هـ–١٩٨٣م)، ص٢٣.

(٢٨) فيليب حتي: لبناني الأصل امريكي الجنسية ولد عام ١٨٨٦م، درس في الجامعة الامريكية في لبنان واكمل الدكتوراة في كولومبيا نال عدة مناصب اخرها رئيس قسم اللغات والاداب الشرقية، اهم اثاره تاريخ العرب ١٩٢٧ واصول الدولة الإسلامية ١٩١٦. ينظر العقيقي: المستشرقون، ١٠١٠/٣.

(٢٩) باز: عبد الكريم علي، افتراءات فيليب حتي وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي، (ط١، الناشر تهامة، جدة–المملكة العربية السعودية، ١٤٠٣هـ–١٩٨٣م)، ص٣٧.

زيادةً على ذلك فقد فسروا سورة (عبس) التي ذكرناها سابقاً انها توبيخ للنبي – حاشاه الله من ذلك– فهذا المستشرق فرانشيسكو غابريلي الإيطالي عندما يتحدث عن عصمة رسول الله (ﷺ) يذكر: "ان جعل شخصية النبي شخصية انموذجية ومثالية لا تشتمل فقط على ما ينسب اليه من قدرات في عمل المعجزات والاعاجيب. فقد اعتُرف وسُلم باللاعصمتية، وانه كإنسان عرضة للخطأ من قبل محمد نفسه حتى في مسألة الوحي، هناك سورة في القران وبخه الله فيه؛ لخشونته في طرد رجل اعمى فقير كان يريد ان يسأله توضيح امر في العقيدة، في الوقت نفسه الذي كان فيه محمد يحاول الفوز بحظوة مع رجل مكي رفيع الجاه وعظيم المرتبة"[٣٠].

يتبين لنا مما سبق كله ان بعض الإساءات للنبي محمد (ﷺ) لم يأتِ بها هؤلاء المستشرقون من وحيهم، او اصطنعوها، بل كانت جاهزة ورائجة في الكتب الإسلامية، وللأسف هذه الكتب تعد لدى البعض كأنها دستور لا يمكن الطعن بها ونقدها، لذلك لا بد من تشذيب السيرة النبوية من هذه المغالطات والافتراءات بحق نبينا الكريم الذي كرمه الله وصرح بخلقه الكريم بأفضل تصريح بقوله:**{وإنك لعلى خلق عظيم}**، وسئل رجلاً امير المؤمنين علي عليه السلام عن اخلاق النبي(ﷺ) فقال امير المؤمنين للرجل: صف لي متاع الدنيا حتى أصف لك أخلاقه؟ فقال الرجل هذا لا يتيسر لي. فقال عليه السلام: عجزت عن وصف متاع الدنيا، وقد شهد الله على قلته حيث قال: **{قل متاع الدنيا قليل}** فكيف أصف أخلاق النبي(ﷺ) وقد شهد الله تعالى بأنه عظيم حيث قال:**{وإنك لعلى خلق عظيم}**.

بهذه العبارات التي ذكرها امير المؤمنين نختم بحثنا فهو اعلم واقرب برسول الله (ﷺ) لا ان نذهب الى روايات قد كُتبت بعد قرنين من الزمان، وكتبوها شخصيات لا نعرف تاريخهم ولا خلفياتهم السياسية والفكرية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

(٣٠) غابريلي: محمد والفتوحات الاسلامية ، ص٦٠-٦١.